سلسلة محاضرات الإمارات

-9-

الإعلام وحرب الخليج:

رواية شاهد عيان

بيتر آرنيت

تصدر عن



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

تأسس مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في 14 آذار/مارس 1994، كمؤسسة مستقلة تهتم بالبحوث والدراسات العلمية للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، المتعلقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج العربي على وجه التحديد، والعالم العربي والقضايا الدولية المعاصرة عموماً.

من هذا المنطلق يقوم المركز بإصدار **«سلسلة محاضرات الإمارات»** التي تتناول المحاضرات والندوات، وورش العمل المتخصصة التي عقدها المركز ضمن سلسلة الفعاليات العلمية التي ينظمها على مدار العام، والتي يدعو إليها كبار الباحثين والأكاديميين والخبراء بهدف الاستفادة من خبراتهم، والاطلاع على تحليلاتهم الموضوعية والمتضمنة معالجة ودراسة قضايا الساعة. فهذه السلسلة تهدف لتعميم الفائدة وإثراء الحوار البناء والبحث الجاد، والارتقاء بالقارئ والمهتم، أينما كان.

المحاضـرة يـوم الاثنين الموافق 6 كانون الثاني/ يناير 1997

الطبعة الأولى 1997

جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:

ات الإمارات ـ مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ص.ب: 4567، أبوظبي

دولة الإمارات العربية المتحدة

تف: 764666 - 9712 ـ فاكس: 773533 - 9712

E-mail: root@ecssr.edu

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

مقدمة

تعرفون أيها السادة أن أسلوب الصحفيين، لا سيما صحفيي التلفزيون، أقل التزاماً بالقواعد اللغوية من أسلوب الأكاديميين. وكما يقولون فإن الصحفيين اعتادوا أن يكتبوا المسودة الأولى للموضوع، ثم يتركونها للأكاديميين ليقضوا بقية أعمارهم في تصحيحها. وبادئ ذي بدء، أحب أن أقول لكم شيئاً عن نفسي، حتى يسهل عليكم الحكم على ما أؤديه من عمل، وما أقوله عن هذا العمل.

لقد قمت بتغطية حروب وأزمات كثيرة على مدار السنوات السبع والثلاثين الماضية، وقد وُجِّه إليّ العديد من الأسئلة، أشهرها على الإطلاق: لماذا تستمر في هذا العمل الخطير بعد كل هذه الحروب؟

● حرب فيتنام ومرحلة النضج

لقد صدر لي منذ عامين كتاب كامل، حاولت فيه أن أشرح الأسباب. لكن الإجابة القصيرة على ذلك هي أن حرب فيتنام تزامنت مع مرحلة نضجي، إذ وصلت إلى فيتنام أوائل الستينيات حين كانت الحرب لا تزال محدودة النطاق، ومكثت هناك حتى وضعت تلك الحرب أوزارها في عام 1975. لقد كانت تلك الحرب كارثة على الولايات المتحدة الأمريكية، لكنها بالنسبة لي كانت تجربة تعلمت أمريكا منها الكثير. لقد كنت محظوظاً أن

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

عملت مع مجموعة متميزة من شباب المراسلين في فيتنام، حصلوا جميعاً على جائزة بولتزر. أذكر منهم ديفيد هالبرستام، ونيل شيهان، وستانلي كارنو. وقد ساعدني هؤلاء الشباب على إدراك أن جوهر الديمقراطية الأمريكية هو حرية التعبير، وأن الصحافة تعد تجسيداً لهذه الحرية.

إنني مدين لمالكولم براون الذي كان رئيساً لمكتب الأسوشيتد برس في سايجون آنذاك، الذي علمني أصول عمل المراسل الحربي. فعندما وصلت إلى فيتنام أعطاني كتيباً عن تغطية أخبار الحروب، عنوانه «بعض ملامح حرب العصابات». قرأت هذا الكتيب أثناء رحلة العمل الأولى، مع أول هجوم بالطائرات الهليكوبتر للقوات الفيتنامية الجنوبية في دلتا نهر ميكونج، وقد ضمنت هذا في كتابي فيما بعد، لقد كتب براون «ستجد نفسك أحياناً في مواقف هجومية، ويجب أن تتصرف فيها كأنك جندي، فتفعل كل ما تستطيع كي تبقى حياً سليماً من الأذى. حاول أن تكون لياقتك البدنية جيدة، حتى تتمكن من السير أو الجري مسافة معقولة؛ فقد تضطر لهذا أحياناً حفاظاً على حياتك. يجب أن تستطيع السباحة. فكثيراً ما تضطر للنزول إلى الخنادق والقنوات. إذا سمعت صوت طلق ناري وترى أن هذا الطلق ليس من جانبك، فلا تنهض وتتلفت حواليك لتنظر من أين جاء.. فالطلقة الثانية قد تصيبك. انبطح تحت النيران ولا تتحرك إلا زحفاً على بطنك. ابحث لك عن ساتر

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

وتحرك نحوه، وعندما تتحرك مع القوات لا تبق قريباً من مقدمة الطابور، أو أول رجل في التشكيل. فالجنود المحترفون يحصلون على رواتب كي يفعلوا ذلك. لا تقف بجوار المسؤول عن الاتصال اللاسلكي أو مساعده، ولا تسر بجواره، لأن هذا الشخص أول هدف للعدو. ابق بجوار القائد فهو عادة في أكثر المواقع أمناً، وستعلم منه أكثر من غيره على أية حال. تذكر أن الفكرة الرئيسية عن تغطية أي عملية عسكرية هو الحصول على الأخبار والصور، وليس القيام بدور الجندي». علمني هذا الدرس ألا ألعب دور الجندي. وكان صعباً على أن أقاوم الإغراء، فقد بدأت حرب الخليج عام 1990 بعد أن غزا صدام حسين دولة الكويت.

لقد كنت متلهفاً على اللحاق بالقوات الأمريكية في المملكة العربية السعودية، لأني كنت أعرف الجنرال نورمان شوارزكوف منذ الأيام الأولى لحرب فيتنام، عندما كان يعمل مستشاراً لقوات المظلات العاملة في فيتنام الجنوبية، وظللنا تحت الحصار في الأدغال. وقد أصرت شبكة CNN حينذاك أن أبقى لتغطية الأحداث المهمة في إسرائيل، حيث مكثت مدة عام أعمل كبيراً للمراسلين. وكنت أعلم جيداً أن شبكة CNN أنفقت ملايين الدولارات أواخر عام 1990 استعداداً لتطور الأزمة، لدرجة أنها دفعت 200,000 دولار ثمناً لنظام اتصال خاص في بغداد، يوفر لنا خطاً مباشراً إلى مركزنا الرئيسي بأطلنطا، حتى نتجنب الاعتماد على مركز الاتصالات الذي سيكون - بالتأكيد - من أوائل الأهداف المحتملة

للقصف الجوي الأمريكي. وتم إخبارنا أن العراقيين سمحوا لفريق الأخبار التابع لشبكة CNN بالبقاء في العاصمة عندما بدأ القصف، وهي بالطبع فرصة رائعة لتغطية الجانب المعادي أثناء الحرب. في حين كانت المؤسسات الصحفية تلجأ للبنتاجون التماساً للعون في دخول المملكة العربية السعودية. لكن هذا الأمر كان بمثابة عهد مع الشيطان، لأن القوات الأمريكية حين أتاحت لنا الدخول - في ظل نظام محكم - لتغطية الأخبار، كنا نعلم أنها قد تمنع ذلك إن أرادت.

● الرقابة والإعلام

هناك الكثير من الأمور السياسية لم تكن مؤكدة بالنسبة لحكومة بوش، التي كانت تسعى حثيثاً لكسب تأييد إجماعي في الداخل والخارج. وكان ثمة شك في أن تغطية وسائل الإعلام للأزمة يمكن أن يكون لها تأثير حاسم على مستقبل الرئاسة، إذ طالما كان للأخبار التي تنقلها وسائل الإعلام تأثيرها على السياسة. وقد حدث مثل ذلك عندما كان المراسلون يغطون أخبار المعارك أثناء الحرب العالمية الأولى في القرم.

كانت صحيفة «التايمز» اللندنية أول صحيفة يومية تنشر للقراء الأوربيين عن محنة الجرحى البريطانيين الذين لا يجدون العلاج على الجبهة، مما حدا بالسيدة فلورنس نيتنجيل إلى إنشاء أول مستشفى

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

ميداني عسكري يعمل فيه متطوعون مثلها، بيد أن الجيش البريطاني لم يكن يحب أن يوجه إليه أحد أي انتقاد. والمعروف أن الصحف الغربية ـ خلال الحروب الأولى من هذا القرن ـ خضعت لقدر كبير من الرقابة، بدعوى الحفاظ على الأمن القومي، ومن ثم لم يكن مسموحاً للقصص المحرجة سياسياً بالظهور.

● **التغطية المفتوحة في فيتنام**

بدأت عملي كمراسل في فيتنام أوائل الستينيات، ولم تكن هناك رقابة حينذاك، وكانت تقاريرنا تؤثر في السياسة القومية تأثيراً مباشراً. وعلى سبيل المثال التقط زميلي مالكولم براون ـ من وكالة الأسوشيتدبرس ـ صورته الشهيرة من شوارع سايجون، لأحد الرهبان البوذيين وهو ينتحر حرقاً، احتجاجاً على سياسات حكومة الرئيس نجو دنه دييم الكاثوليكية. وبعد عدة سنوات أخبرني الدبلوماسي الأمريكي المرموق هنري كابوت لودج، أن الرئيس كيندي استدعاه إلى المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض يوم تعيينه سفيراً، وأشار إلى صورة انتحار الراهب حرقاً على الصفحة الأولى لإحدى الصحف الموجودة على مكتبه، وقال للسفير «اعمل على ألا يتكرر مثل هذا الأمر». وبنهاية تلك السنة أطاح انقلاب عسكري مدعوم من أمريكا بنظام حكم دييم.

لكن نموذج التغطية المفتوحة في فيتنام لم يكن معياراً نسير عليه، لأن كثيرين من العسكريين كانوا يعزون هزيمتهم في فيتنام إلى وسائل الإعلام. وهي وجهة نظر يسخر منها المؤرخون المعاصرون، الذين يعتبرون البيت الأبيض - في عهد الرئيس جونسون - السبب الرئيسي للكارثة.

● عودة الرقابة

تجددت الرقابة على وسائل الإعلام أثناء حرب الفوكلاند أوائل الثمانينيات، ونجحت الحكومة البريطانية في إبعاد وسائل الإعلام عن ميدان القتال. وبعد ذلك بقليل استخدمت حكومة الرئيس ريجان نموذج الفوكلاند في الرقابة على وسائل الإعلام، عندما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بغزو جزيرة جريناداا، وكنت واحداً من المراسلين المتنظرين في جزيرة باربادوس لدخول جريناداا. وعند غزو بنما أواخر عام 1989 تكرر نفس السيناريو، إذ قامت القوات المسلحة الأمريكية بتكميم وسائل الإعلام أثناء الساعات الحاسمة للحملة، وقد بلغت سياسة الرقابة على الإعلام درجة الإتقان في حرب الخليج.

● شبكة CNN في بغداد

تلقيت التعليمات بالقيام بالتغطية الإخبارية لبغداد قبل القصف بستة أيام، وكان فريق شبكة CNN هناك قد بدأ يتفكك وينسحب، مخافة

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

أن تؤدي الضربات الجوية إلى تدمير العاصمة العراقية تدميراً كاملاً. أما أنا فكنت أرغب في المخاطرة.

توجهت إلى العراق على واحدة من أواخر الطائرات المقاتلة من عمّان، ووصلت إلى بغداد لأجد الروح المعنوية منخفضة بين أفراد فريق شبكة CNN. وعلى أية حال فقد كنا نتلقى قدراً معقولاً من التعاون من قبل العراقيين، وكان واضحاً أن كبير الفريق لديه علاقات طيبة مع كبار المسؤولين. لكنني كنت متوجساً من المكان، فقبل ذلك بعدة أشهر أعدم النظام العراقي الصحفي البريطاني الإيراني الأصل فارزاد بازوفت، بدعوى اشتغاله بالجاسوسية. وقد سبق أن أصدرت له وزارة الإعلام تأشيرة دخول، ومن ثم كانت مسؤولة عن رعايته أثناء زيارته. وكان هؤلاء هم نفس المسؤولين الذين سيكون عليّ التعامل معهم. ورغم أننا تلقينا وعوداً بالتعاون، فقد اضطررنا إلى تهريب جهاز هاتف يعمل بالأقمار الصناعية، وكان يعتبر آنذاك تقنية جديدة، لنستعمله في حالة تعطل نظام الاتصال الخاص بنا. وقد ثبت بعد ذلك أن تلك كانت فكرة عظيمة.

شعرت بالقلق عندما بدأ أعضاء فريق CNN في الرحيل قبل بدء الحرب. وأخبرني أحد الفنيين أن بعض زملائي يعتقدون أنني مجنون بحب الحروب، وأنني على استعداد لأن أفعل أي شيء من أجل الحصول

على الأخبار. ورددت عليه بأنني لا أفعل ما أفعله لمجرد المتعة، وإنما أؤدي ما أتقاضى عنه راتباً، وأؤديه بحرص واهتمام. وقلت له إنني لو خرجت من هنا لوجب عليّ أن أعيد راتبي إلى CNN، لأنني بذلك أكون قد أسأت إلى الشركة التي أعمل لديها مراسلاً. وإذا أمرتني CNN بالخروج من هنا سيكون علي تد تيرنر Ted Turner أن يعيد للمشتركين أموالهم، لأنه بذلك يكون قد أساء إليهم وأخلّ بعقود الاشتراك الموقعة بينهم وبين شبكته الإخبارية، التي من المفترض أن تعمل على مدار 24 ساعة.

لقد قلت له أيضاً «إننا لا نستطيع أن نتخلى عن الأخبار»، فرد زميلي بابتسامة ساخرة «حسنٌ يا بيتر، وماذا عن حياتك؟ إن لي حياتي الخاصة. وأسرتي قلقة عليّ وتتصل بي يومياً. وأنا خائف بصراحة يا بيتر». لقد مس هذا الكلام وتراً حساساً لديّ. فلطالما كنت أضع العمل أولاً، ولم أكن فخوراً بذلك. قلت له إن بإمكانه أن يغادر، لكنه سيُعرف دائماً أنه فر تاركاً وراءه خبراً من أهم الأخبار. وإن لم يختبر نفسه في مثل هذا الموقف فمتى يختبرها؟ إن الأمر لا يتعلق بالرجولة، بل يتعلق بكون المرء متقناً لعمله أم لا.

● وحيداً في بغداد

الأمر هنا يتعلق بمسؤولياتنا، فهناك أناس كثيرون في هذا العالم مهتمون بما سيحدث في بغداد، وسوف يقدرون لنا بقاءنا هنا لنحيطهم

علماً بما يدور. صحيح أنني لم أحسم الأمر مع رفيقي في تلك المرة، فقد تركني في النهاية وحيداً في بغداد. لكن بعد مرور عام على هذا الحديث كان هذا الرجل على الخطوط الأمامية في البوسنة، وأصبح من كبار المراسلين الميدانيين في الوقت الحاضر.

كنا نقيم بجناح في الطابق التاسع من فندق الرشيد ببغداد. وهذا الفندق عبارة عن مبنى فخم، أسفله ملاجئ جيدة الإضاءة مكيفة الهواء. وعندما انتهى الموعد النهائي لانسحاب القوات العراقية من الكويت - يوم 15 كانون الثاني / يناير 1991 - تجهزنا للعمل وجهزنا معدات التصوير والاتصال، وحينذاك طرأ أمامنا مزيد من التعقيدات.

كان قصف بغداد يقترب سريعاً، وكان المديرون التنفيذيون في شبكة CNN يشكون أننا سنظل في المدينة عندما تبدأ الحرب. وكان البيت الأبيض يمارس مزيداً من الضغوط، إذ طلب الرئيس بوش بنفسه من مديرينا التنفيذيين أن يأمرونا بالرحيل، بزعم الخوف على سلامتنا. ولكنني أحسست أن أسباباً سياسية كانت وراء ذلك؛ فالحكومة الأمريكية لم تكن ترغب في وجود شبكة إخبارية دولية ذات مصداقية خلف خطوط العدو.

في الوقت الذي غادر معظم الصحفيين الغربيين بغداد فضلت أنا البقاء، لأنني كنت أعتقد أن الأمر يستحق، وأنني لن أصاب بسوء.

وسمح لنا تد تيرنر بالبقاء في بغداد، إن نحن أردنا ذلك. بل إنه اتصل بي في بغداد وأخبرني بقراره.

● حرب التلفزيون

في اليوم الأول للحرب ـ 17 كانون الثاني/ يناير ـ بدأ القصف من الساعة الثانية والدقيقة الثانية والثلاثين صباحاً. وظلت كلاب بغداد تنبح عدة دقائق عندما أضاء وميض مبهر سماء جنوب بغداد. وعندما أسرعت إلى المكان المخصص لعمل فريق CNN رأيت بيرني شو راكعاً على ركبتيه يحدق من النافذة ويصيح في الميكروفون «أطلنطا. هل تسمعوننا من بغداد؟ إن شيئاً ما يحدث. إن شيئاً ما يحدث». ما كان يحدث في الحقيقة هو بداية أكثر سلاسل الغارات الجوية تدميراً في التاريخ. كان الوهج خارج النافذة شديد الحمرة وكأن الشمس عادت تشرق من جديد. وكانت سلاسل من الضوء الأصفر تظهر معلقة في السماء كأنها تتدلى من ثريا عملاقة، وعرفت أنها كانت طلقات المدافع المضادة للطائرات.

انضممت إلى بيرني شو لأبدأ البث، وتحدثت عن البرق الهائل الذي يضيء ظلمة الليل، وخلال دقائق تعطلت وحدة الاتصال الخاصة التي لدينا، وظننت أننا بذلك لن نستطيع عمل أي شيء، لكن الأمر لم يكن سوى مشكلة تتعلق بالبطارية. وعاودنا العمل من جديد، ووضعنا أحد الميكروفونات خارج النافذة ليلتقط أصوات الليل.

الإعلام وحرب الخليج:

رواية شاهد عيان

بدأت نوافذنا تحدث خشخشة، وفتحنا الأبواب التي تصل بين الحجرات لنرى منظراً أشمل للمدينة. حطمت قنبلة ثلاثة مبان وهزت الحجرة التي نقف فيها، لدرجة أنني اعتقدت أن ذلك هو المقر الرئيسي لحزب البعث الذي يرأسه صدام حسين.انضم إلينا جون هوليمان وقال «ديفيد إن هذه ليلة مشهودة. ما أجمل أن أكون معك». واستمر في حديثه حياً على الهواء من بغداد.

كنا نتبادل الميكروفون فيما بيننا، سمعنا صوت بوب فوناد من أطلنطا. كان صوته يمتلئ حيوية. قال «هيا يا شباب. إن العالم كله يشاهدكم». لقد كانوا يشاهدون بالفعل، حتى أن عدد مشاهدي CNN من الأمريكيين تضاعف خمس مرات، وكانت محطات التلفزيون في جميع أنحاء العالم تعيد بث أخبارنا. وهناك تقديرات تقول إن مليار شخص شاهدوا تلك الساعات الأولى للحرب، بما في ذلك الرئيس بوش والرئيس صدام حسين ورئيس الوزراء جون ميجور والرئيس ميخائيل جورباتشوف. لقد استطعنا أن نبث ما يقرب من سبع عشرة ساعة قبل أن يفك العراقيون القيود عنا في النهاية، فتمكنا من تغطية ما لحق بالعاصمة من دمار على يد قاذفات الحلفاء.

غادر معظم العاملين في شبكة CNN بغداد في اليوم الثاني، وبدأوا رحلة طويلة عبر القفار إلى عمّان، لأن المطارات كانت قد دُمِّرت. كان

علينا أن نتملق المسؤولين العراقيين كي يسمحوا لنا باستخدام هاتف الأقمار الصناعية، بعد أن تعطلت وحدة الاتصالات الخاصة بنا بسبب تدمير كافة أبراج الاتصال العسكرية.

في بداية الأمر لم يسمح لنا العراقيون بالخروج من الفندق، وفي اليوم الرابع وصلت الحرب إلينا، فقد أصاب جزء من صاروخ كروز الجزء السفلي من الفندق، وحطم نوافذ بار شاه زاردة حيث أقمنا مخيمنا. ومنذ ذلك الحين توقفت كافة إمدادات الماء والكهرباء في الفندق، واضطررت للاستحمام بزجاجة مياه معدنية.

● الرقابة العراقية

الأمر المهم بالنسبة لي هو الرقابة التي فرضها العراقيون كشرط لبقائي هناك. إذ كان لا بد من الموافقة على ما أكتبه قبل أن أقرأه عبر الهاتف، وكنت أعرف أن شبكة CNN تذكر للمشاهدين أن كافة تقاريري تخضع لرقابة السلطات العراقية، لكن عمال الربط في CNN بدأوا يسألونني كلما انتهيت من الحديث، فأدركت أنني يمكن أن أنقل ببعض اللمحات عن الموقف في بغداد وفي أماكن أخرى أثناء المحادثات العادية، وهو ما كان مستحيلاً في تقاريري التي تخضع للرقابة.

عندما بدأنا كتابة التقارير عما لحق بالتجمعات المدنية من دمار، كان علينا ألا نذكر أية معلومات عسكرية فيما نكتب، فقد كان هذا ممنوعاً

بالطبع. وكان الرقباء أحياناً شديدي التخصص. وأذكر أنني كتبت بعد زيارة لوسط المدينة أن شبكة المياه «بدأت تعمل بكفاءة من جديد»، وعندما قرأ الرقيب ما كتبت، ظهر على ملامحه الغضب، ثم التفت إليّ رافعاً قلمه وقال: «هل تظنني أسمح بنشر هذا؟». فقلت إن هذا لا ضرر منه. فصاح قائلاً: «إن الأمر لا يتعلق بالأمن. إنه يتعلق بقواعد اللغة». وصحح الجملة مزهواً بنفسه، فقد كان يحمل شهادة في الأدب الإنجليزي من إحدى جامعات استكلندا.

بعد أسبوع من تغطية الحرب مُنعت من التحدث عن الدفاعات الجوية في بغداد، أو عن التقديرات العامة لما أحدثته الغارات الجوية على العاصمة والدولة كلها. شعرت بالرضا عن عملي، لقد أتقنت استعمال هاتف الأقمار الصناعية، وكنت أتصل بالمركز الرئيسي في أطلنطا عدة مرات في اليوم، وأحاول تخطي قيود الرقابة من خلال إجاباتي غير الرسمية على أسئلة عامل الربط.

● **لقائي مع صدام حسين**

بعد مرور أحد عشر يوماً على الحرب أجريت مقابلة مع صدام حسين، وقد أحطت علماً بها قبل حدوثها بساعة واحدة. فقد أخبروني أنني سألتقي بشخصية مهمة جداً. وبعد أن ارتديت بدلة ونزلت إلى صالة الفندق، أخذني أربعة من رجال الأمن إلى الطابق الأعلى وقاموا

بتفتيشي تفتيشاً ذاتياً، لدرجة أنهم طلبوا مني غسل يدي بمادة مطهرة، فأحسست حينذاك أنني سأقابل القائد الأعلى. وعند مدخل الفندق كانت تقف سيارة فخمة ليس بداخلها سوى السائق، فسار بي زهاء نصف الساعة، لقد كنت على وشك اللقاء بأكثر الرجال تخويفاً على وجه الأرض.

تم اللقاء داخل بيت صغير في حي القاهرة بالعاصمة، بعيداً عن القصر الذي اعتاد صدام حسين الإقامة فيه، والذي كان قد دُمِّر بالفعل من جراء القصف. انتظرت ساعة مع بعض كبار معاونيه، ثم فُتح الباب ودخل صدام وحده. كان يرتدي بدلة زرقاء داكنة ومعطفاً خفيفاً وغطاء رأس صوفي رمادي اللون، الأمر الذي أدهشني لأنني توقعت أن أجده في زيه العسكري المعتاد.

تقدم نحوي ومد يده مصافحاً وشدَّ على يدي ونظر إليّ بارتياح. ثم سألني عن طريق المترجم لماذا بقيت في بغداد، فأجبته بأنني أفعل ذلك لكسب العيش، فابتسم ابتسامة عريضة وقال إن طريقتي في كسب العيش تحفها المخاطر، وأن هذه ربما تكون آخر مرة أفعل ذلك، وأذكر أنه قال لي إن هذه هي أم المعارك.

قلت له إن العالم يتطلع إلى سماع ما يريد أن يقوله، فأخذ يدي وأشار عليّ بالجلوس وقال «اسأل ما شئت». كان التلفزيون العراقي قد

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

نصب ثلاث كاميرات، في حجرة جُهزت لتبدو وكأنها في قصر، إذ كانت كراسيها مذهبة وجدرانها مزخرفة. كنت أعلم جيداً أن هذه ستكون أهم وأخطر مقابلة أجريتها في حياتي، وكان عليّ أن أتوخى الحرص في طريقة إجرائها. كانت شبكة CNN تنوي إذاعة كل دقيقة فيها، وكنت أعلم أن كل دقيقة سيتم فحصها بعناية من قبل من لا يرغبون في وجودي داخل بغداد، بما في ذلك الحكومة الأمريكية بأسرها.

رحت أوجه السؤال تلو السؤال حول ما لحق بالعاصمة من دمار شديد، والتهديد باستخدام طياري التحالف الأسرى كدروع بشرية، مشيراً إلى أن هذا يخالف ما نصّت عليه معاهدات جنيف. كانت الأسئلة مثيرة حتى أنه استشاط غضباً. في البداية كان يختبئ وراء بلاغته، لكنه في النهاية أفصح عن مكنون نفسه ورد بإجابات مباشرة.

أثرت موضوع مخاوف معارضيه، وموضوع أسلحة الدمار الشامل الموجودة لديه. يُذكر أنه في العام السابق كان قد هدد بتدمير نصف إسرائيل بهذه الأسلحة، إلا أنه لم يستخدم تلك الرؤوس الحربية في هجماته بصواريخ سكود على تل أبيب. وفهمت من إجاباته أنه لن يستخدم أسلحته الكيماوية والبيولوجية. قلت له إن كل قائد عسكري على مر التاريخ كانت لديه شكوك حيال معركته «فهل تشعرون بأي من تلك الشكوك؟»، فرد قائلاً «ولا واحد في المليون».

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

استمرت المقابلة تسعين دقيقة، وبعد ذلك ابتسم صدام ابتسامة عريضة وصافحني. وقفت إلى جانبه لالتقاط بعض الصور، ويبدو أنه كان سعيداً بأدائه. لقد وقف موقف المدافع بعض الوقت، وكان دعائياً في البعض الآخر. لقد ظن أنه أبلغ رسالته.

أرسلنا المقابلة كاملة بعد بضع دقائق عن طريق القمر الصناعي. لقد أثارت مقابلتي مع الرئيس العراقي مزيداً من الجدل، حول استمرار وجودي في بغداد مع عضو مجلس الشيوخ الأمريكي البارز ألان سيمسون، الذي اتهمني بالعمل لصالح الجانب العراقي، وزعم أنني قللت من شأن الجهود الأمريكية في حرب فيتنام أيام كنت أعمل مراسلاً في سايجون، وهي تهمة سارع بالرد عليها عدد كبير من زملائي المراسلين.

وانضم إلى المهاجمين منتقدون آخرون. فقد وقع آلاف من أعضاء منظمة «الدقة في وسائل الإعلام» على بطاقات بريدية متماثلة باسم تد تيرنر، وأرسلوها إلى CNN. كتبوا على تلك البطاقات «عزيزي مستر تيرنر. يروعني أن أراك تساعد صدام حسين على بث دعايته حول العالم. إذا كانت رسائل بيتر آرنيت من بغداد لم تساعد صدام حسين فإنه سيرفع القيود على الفور. إنه يعتمد عليكم في تحطيم معنوياتنا وشق صفوف تحالفنا. لقد حاول اللورد هاو هاو أن يفعل ذلك أيام

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

الحرب العالمية الثانية، وحوكم بتهمة الخيانة وتم إعدامه. إن كنت تُكِنُّ أي حب لبلادك وأي اعتبار لقواتنا يجب أن تستدعي آرنيت إلى أمريكا. لن أشاهد محطة CNN طالما بقي آرنيت وفريقه يعملون كصوت لبغداد».

كذلك تلقينا طوفاناً من الرسائل من مشاهدين غضاب، جاء في بعضها «إلى بيتر آرنيت رئيس العلاقات العامة لصدام حسين، CNN، أطلنطا، جورجيا». وكان فيها كثير من كلمات السباب الجارحة. وأطلق عليّ أحدهم اسم بيتر «بندكت» آرنيت، وهو يقصد بندكت أرنولد، أحد الخونة في الثورة الأمريكية. واقترح عليَّ في خطابه أن «أحمل طبق الأقمار الصناعية وأرحل فوراً من بغداد». كما تلقيت بالفاكس تهديدين بالقتل من شخصين، كان أحدهما مقتنعاً بأنني كنت أعمل في بغداد لصالح وكالة الاستخبارات المركزية، ونصحني بعدم العودة إلى أمريكا وإلا قتلت. أما الفاكس الثاني فقد اتهمني بأنني كنت أعمل لصالح العراقيين ويجب أن أعود.

توالت الرسائل بعد ذلك، وتضمن أحد الخطابات صورة لي من صحيفة، كُتب تحتها «أنت يا مستر آرنيت شخص قذر وخائن. بالتأكيد ليس من قبيل المصادفة أن تعمل لدى مؤسسة تحكمها أقذر النساء على وجه الأرض وأكثرهن خيانة». وكتب جون مادري أحد كتاب صحف الجنوب الأمريكي، أن بعض قراءه يرون أنني - بما أرسله من بغداد - أعد

تجسيداً للشر، وأنني خطير مثل دراكولا أو طفل روز ماري. وكتب مادري أن كثيراً من القراء يعتقدون أنني شخصية غير سوية. إلى غير ذلك من الاتهامات والشتائم.

● **مشاكل مع التحالف**

حين كنت أتعرض للخطر في بغداد، كان زملائي الصحفيون ـ العاملون مع قوات التحالف في الخليج ـ لديهم أيضاً مشاكلهم. فكما توقع كثيرون كانت وزارة الدفاع الأمريكية تحظر تغطية الحرب الجوية، أو أنشطة القوات على الأرض، حيث كانوا يعدون العدة للهجوم البري الأخير على القوات العراقية في الكويت. ولكنها سمحت لـ 160 مراسلاً بزيارة الوحدات في ميدان المعركة، وكان هناك ألف أو يزيد من الصحفيين ـ في الظهران والرياض ـ يقومون بتغطية القيادة العامة، وإن كانت النشرات الإخبارية تأتي في معظمها من النشرات العسكرية. الأمر المزعج بالنسبة لوسائل الإعلام أنه عندما كان هؤلاء الصحفيون يجأرون بالشكوى، كان الجمهور الأمريكي يعبر عن تأييده للممارسات الرقابية التي يقوم بها البنتاجون. لقد قاومنا هذه القيود قدر الاستطاعة، لكن أصواتنا لم تجد من يسمعها. وعندما بدأت الحرب البرية النهائية كانت تغطيتها دون المستوى.

يقول أحد زملائي المصورين ـ وكان مع قوات التحالف ـ إنه شاهد آلاف الصور التي التقطها أربعون مصوراً في ميدان القتال، ولم يكن في

أي منها جنود قتلى، أو دبابة أمريكية واحدة تعرضت لإطلاق النار أثناء الحرب كلها. لماذا؟ لأن الصحفيين مُنعوا من رؤية الحرب رأي العين.

● رؤيتان لجمهور واحد

يرى الدكتور ألان برنكلي أن ارتباط المشاهدين والمستمعين بالحكومة، كان أقوى من ارتباطهم برجال الصحافة. إذ كان الجمهور يثق أن الحكومة ستدير الحرب بنجاح، أكثر من ثقته في أن وسائل الإعلام ستذيع أخبارها بشكل مسؤول ومتوازن.

من وجهة نظر مشاهدي التلفزيون، يتوقف نجاح المراسل على قدرته في الوصول إلى موقع الحدث ونقل الأخبار عنه. بيد أن هذا الأمر في حرب الخليج تحول إلى جانب العسكريين، لأن العسكريين - بمنعهم الصحفيين كشهود عيان - استطاعوا لعب هذا الدور، وكان الجمهور يستمع إليهم.

هذا ما يجب أن يكون في مجتمع ديمقراطي. كانت هذه التغطية الصحفية - في الحقيقة - أكثر التغطيات تعرضاً للقيود في التاريخ الحديث. والذي لم نره ولم نقم بتغطيته أثناء الحرب، هو مستوى النيران ومستوى التقنية العسكرية..الخ، فقد استُبعد هذا الأمر إلى الحد الذي جعل الجمهور لا يعرف - حتى الآن - الحجم الحقيقي للنيران ومستوى الدمار الذي يمكن أن تحدثه حرب كهذه.

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

من جوانب التغطية الصحفية التي تعرضت للهجوم بشراسة، ذلك الجانب الذي يتخطى حدود الوطنية، ويهتم بالمنظور الأخلاقي للحرب، ولا يُخضع القيم الإنسانية للقيم الفنية، وذلك من خلال عرض التدمير الوحشي لدولة بأكملها.

● **دمار الحرب**

أؤكد لكم أنني حاولت من بغداد أن أبذل قصارى جهدي للوصول إلى ذلك المنظور الإنساني، ورجوت المسؤولين العراقيين أن يسمحوا لنا بالذهاب إلى الأرياف لمشاهدة الدمار. ومن المشاكل التي اعترضت هذا الأمر أن السير في الطرق جنوب العاصمة كان يشكل مجازفة خطيرة، إذ كانت تخضع لهجمات طائرات التحالف. وأبدى عدد قليل من المسؤولين رغبتهم في الذهاب معنا إلى حيث طلبنا. وذات صباح كنا نستقل سيارة إلى الناصرية، حيث شاهدت سيارة مدنية في الطريق، على بعد نصف كيلو متر من سيارتنا، تنفجر بعد أن أصابها صاروخ جو-أرض. وعلى جزء من الطريق - قرب البصرة - أحصينا خمس شاحنات وسيارات مدمرة. وفي الصباح التالي شاهدنا أحد عشر سيارة وشاحنة على نفس الطريق دمرتها الهجمات الجوية.

ولا عجب أن تأتي من بغداد أكثر قصص الحرب إيلاماً، خاصةً ما يتعلق بالإصابات بين المدنيين. لقد شاهدنا مناظر لأكثر هجمات القنابل

والصواريخ وحشية في التاريخ. كنا نرى هذه المناظر ونحن نتجول بسيارة في أرجاء المدينة، لنرى صواريخ كروز تطير في السماء إلى وسط المدينة. وذات يوم سمعنا صوت صفير الصواريخ في الهواء حيث كنا نقف، وتتبعنا ذلك الهجوم لنجد أن ثلاثة من ستة صواريخ قد أصابت بعض المنازل وجرحت عدداً من المدنيين.

● الهجوم على ملجأ

لكن أسوأ حادثة وقعت خلال الحرب، هي ذلك الهجوم المدبر بالصواريخ على حيّ العامرية في بغداد. فأثناء تناول الإفطار يوم 13شباط/ فبراير هُرع إلينا أحد مرشدينا. وهو يصيح «والله هذه هي الأسوأ. هذه هي الأسوأ». وأخبرنا أن ملجأ مدنياً للاحتماء من الغارات الجوية تعرض لهجوم بالقنابل، وأن بعضاً من أصدقائه وسكرتيره ربما كانوا ضمن القتلى. فقفزنا إلى حافلة أقلتنا إلى حيّ العامرية، وتوقفنا في شارع جانبي. شاهدنا دخاناً كثيفاً يتصاعد من سقف مبنى منخفض أمامنا. وقد سد جمهور غفير الطريق إليه. وعلى عمود قريب رأينا علامة مرور مرسوم عليها شخص يجري، وقد كتب عليها كلمة «ملجأ» بالعربية والإنجليزية.

شققت طريقي بين الحشود حتى وصلت إلى المبنى الذي يتصاعد منه الدخان. كان هناك نشاط محموم في الداخل، فرجال الإطفاء كانوا

الإعلام وحرب الخليج:

رواية شاهد عيان

يدفعون خراطيم المياه عبر بوابة فولاذية في المبنى، وكان آخرون يحاولون بالمعاول فتح بوابة أخرى قد سدت. ورأينا رجالاً بزيهم العسكري يصدرون الأوامر. وشاهدت شاحنة أدارت ظهرها إلى السلم الصغير ورجال الإطفاء ينزلون أشلاء ملفوفة في البطاطين والأعلام العراقية، ويضعونها في الشاحنة. كان الجمهور المحتشد يغمغم ألماً كلما ظهر الرجال يحملون الجثث.

تحركت مع المصور فوق الحطام ودخلنا الردهة في الطابق العلوي. كشفت لنا المصابيح المضيئة عن منظر بشع. كان رجال الإطفاء يزحفون بين الحطام، وكانت الطبقة العازلة قد انفصلت عن الجدران، وأسياخ الحديد الخرسانية قد التوت. كان هناك حريق في كومة من الشراشف والملابس. انزلقت قدمي فوق شيء طري، وإذا به جثة متفحمة. دفعني اثنان من رجال الإطفاء جانباً، فقد كانا يحملان جثة أخرى. لقد قتل ما يزيد على ثلاثمائة شخص في هذا الملجأ، أغلبهم من النساء والأطفال، بفعل صاروخين حراريين أطلقتهما طائرة أمريكية. وقد سجل شريط الفيديو الذي أرسلناه أكثر مناظر الحرب بشاعة.

قال لي أحد المسؤولين العراقيين «الألمان يرسلون صوراً أسوأ من تلك التي ترسلونها، فلماذا لا تفعلون مثلهم؟»، قلت له إننا لا نعرض أشلاء على شاشة CNN.

بعد ذلك زعمت وزارة الدفاع الأمريكية أن هذا الملجأ كان مقراً عراقياً للقيادة والسيطرة. وأنهم لا يعرفون لماذا كان المدنيون موجودين بداخله. لقد شاهدت بنفسي ثلاثين ملجأ في بغداد أقيمت لحماية المدنيين من الصواريخ الإيرانية خلال الحرب في الثمانينيات، وكان يمكن استخدامها للأغراض العسكرية كذلك.

- **قصف مصنع حليب الأطفال**

هناك قصة أخرى قمت بتغطيتها ولا أكاد أنساها، وقد ضايقت الرئيس بوش. ألا وهي قصف مصنع لإنتاج حليب الأطفال في حيّ أبوغريب في بغداد. في اليوم السادس من الحرب زرنا مبنى مدمراً على الطريق السريع إلى الأردن. وكان هيكل المبنى يسهل التعرف عليه، فالأسقف والجدران المكسوة بالألومنيوم قد دمرت وتناثرت في الفناء، والتوت عوارض السقف واسودّ لونها، وأصبحت الآلات عبارة عن كومة من الحطام المصهور. ورأيت على الحائط صورة باهتة لصدام حسين يطيب خاطر طفل بائس، وكانت هناك لافتة صغيرة عند المدخل مكتوب عليها «مصنع لحليب الأطفال» باللغة العربية والإنجليزية.

بسط المسؤول العراقي ذراعيه كإشارة على التأكيد. وذكر أن تدمير المصنع الوحيد لحليب الأطفال في البلاد أكبر دليل على أن القصف يتم بغير تمييز. إن هذا المصنع أنشئ لمصلحة أطفال العراق. وقال «لقد قال

رئيسكم إنه لن يقصف أهدافاً مدنية. انظر إلى هذا»، فنظرت وأخذت علبة من بودرة الحليب مع بعض المؤن الأخرى، كي أعطيهم للأطفال الموجودين في فندق الرشيد. كما أخذت بعض الوثائق بما في ذلك رسماً تخطيطياً كاملاً للمصنع، وتجولت بين حطام المبنى مع المصورين.

كان رد الفعل الأمريكي مباشراً وغاضباً. وقد ذكر مارلين فيتز ووتر - المتحدث الصحفي باسم الرئيس بوش - أن الرئيس شاهد بنفسه هذا التقرير، ولم يشعر بالارتياح. وأكد الرئيس أن المصنع في حقيقة الأمر «أحد منشآت تصنيع الأسلحة البيولوجية»، وهو زعم أيده الجنرال شوارزكوف والجنرال كولن باول، وأكد الجنرالان أن حليب الأطفال لم يكن سوى واجهة، ووصف البيت الأبيض شبكة CNN بأنها قناة للتضليل العراقي. وبالتالي أصبحت في ورطة بين غضب الرئيس الأمريكي ومعاونيه المقربين من جهة، وبين مزاعم العراقيين من جهة أخرى. لقد أخذت في العام الماضي عبوة أخرى من حليب الأطفال من نفس المصنع بعد أن أعيد بناؤه، وأكدت بعثة الأمم المتحدة أنها لم تشغل بالها بتفتيش المصنع، ولم تشك في كونه مركزاً للاختبارات البيولوجية.

ومنذ حوالي عام ظهر الرئيس بوش على شاشة CNN، في مقابلة بمناسبة الذكرى الخامسة للحرب، ولم يتحدث في الدقائق الخمس عشرة الأولى من المقابلة سوى عن «التقرير الزائف عن مصنع حليب الأطفال».

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

وقد تعجبون لما يقوله جون سونونو، كبير موظفي البيت الأبيض في عهد الرئيس بوش، وأحد المشاركين في برنامج Crossfire الذي تعرضه CNN، فقد أكد لي أن الرئيس بوش تعلم كيف يستغل شبكة CNN استغلالاً رائعاً. إذ قام البيت الأبيض باختلاق تقارير ومؤتمرات صحفية، لعلمه أن المناوئين في منطقة الأزمة - أي بغداد وموسكو ودمشق - يتعرفون على السياسة الأمريكية من خلال شبكة CNN مباشرة. وقد أصاب سونونو في ظنه لأن مسؤولي هذه الدول كانوا يشاهدون بالفعل CNN.

● **الاستخدام السياسي للإعلام حالياً**

أصبحت الحكومة الأمريكية اليوم تولي اهتماماً بالقضايا الداخلية أكثر من اهتمامها بالمسؤوليات الدولية. وفي الوقت نفسه نجد أن وسائل الإعلام قد وُضعت في حالة استعداد للأزمات الدولية، لا سيما بعد أن أصبح لها بعض التأثير في طريقه حسم تلك الأزمات. وعموماً فإنني لا أنكر أن تغطيتنا أحياناً كانت تثير أعصاب كل من السياسيين والإعلاميين، لقد علمت ذلك من الجنرال كولن باول نفسه.

إن شبكة CNN موجودة الآن في أكثر من مائتي دولة، ويمكن مشاهدتها في شتى أرجاء المعمورة. الأمر الذي يجعلنا وكأننا مؤسسة إخبارية محلية في أوقات الأزمة، إذ نتعرض لردود أفعال المشاهدين

بشكل مباشر. ففي صيف عام 1994 على سبيل المثال، تعرضت لانتقام المسؤولين في الشرطة والجيش عندما كنت في هاييتي، لأنهم يشاهدون محطة CNN بأطباق الاستقبال من الأقمار الصناعية، وقد شاهدوا جميع تقاريري عن انتهاكات حقوق الإنسان ومقابلاتي مع مؤيدي أرتستايد Artistide، رغم أنني حاولت أن أكون متوازناً في تقاريري.

ذات يوم، خلال إحدى التظاهرات الغضبى أمام السفارة الأمريكية في بورت أوبرنس، تعرضت للضرب على مرأى ومسمع من مسؤولي السفارة الأمريكية وحراسها، الذي كانوا يشاهدون المنظر من فوق سطح السفارة. وفيما بعد قال لي ستان شراجر المتحدث الرسمي باسم السفارة الأمريكية «كنا ننتظر أن يقتلوك. فتلك كانت القشة التي ستقصم ظهر البعير. إذ كان قتلك سيعد سبباً كافياً لغزو هاييتي بالوحدة 82 المحمولة جواً. كنا سننتهي من هذا الأمر برمته».

وفي حادثة أخرى اتصل رينولدز جورج، أحد الساسة في هاييتي، ليشكو من قادة الانقلاب العسكري، وأجرينا معه مقابلة حية على شاشة CNN. وفي اليوم التالي تعرض لإطلاق النار بينما كان يقود سيارته في العاصمة، وأصيب بعدة جروح. وكان طبيعياً أن يصعب إقناع أي شخص بعد ذلك بالتحدث إلى CNN.

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

● **عالمية الاتصال والاعلام**

من المجالات الأخرى التي تؤثر فيها شبكة CNN مجال السفر والمسافرين. فقد أصبح عشرات الآلاف من رجال الأعمال ومن الدبلوماسيين والأكاديميين يشاهدون شبكة CNN، قبل وأثناء رحلاتهم. لقد ذكر لي كثيرون أن شبكة CNN أحدثت ثورة فيما لديهم من معلومات. فليس هناك شخص يتوق لمشاهدة CNN أكثر من مسافر متعب، يمضي ليلته في فندق ناءٍ، ويفتح جهاز التلفاز ليعرف من بوبي باتسيتا أو بيرني شو أو لو دوبس آخر أخبار العالم والاقتصاد، وما حدث في الشؤون الدبلوماسية والتجارة. نحن نقدم الأخبار عما تحتاجه الصناعة في المستقبل، وعن آخر الأسعار. وقد ثبت أن أخبار التجارة والأعمال - التي نقدمها - لها تأثير فوري على مستوى العالم. نحن نستطيع تقديم آخر أخبار الأسعار في الأسواق بشكل فوري في التو واللحظة.

● **وسائل إسقاط صدام حسين**

بعد استسلام العراق رفضت حكومة الرئيس بوش نقل الحرب إلى بغداد كي تخلص العالم من صدام حسين - وهو القرار الذي أثار جدلاً كبيراً - فقد كان الحلفاء يتمنون أن تطيح القوات العراقية نفسها بصدام، بعد أن أطلقتها الهزيمة من عقالها. وتعرفون أن بعض حالات التمرد قد

حدثت بالفعل، فقد قتل صدام اثنين من أزواج بناته لدى عودتهما - غير الحكيمة - بعد فرارهما إلى الأردن. وقد شعر أقاربهما بالغضب وهبوا للثأر منذ بضعة أسابيع، وكادوا يقتلون عدي ابن صدام.

ولكي تساعد الولايات المتحدة الأمريكية القوى العراقية المعارضة في الداخل، أنفقت 20 مليون دولار على عمليات وكالة الاستخبارات الأمريكية في شمال العراق، خلال السنوات القليلة الماضية، وذلك لتشجيع الأكراد العراقيين على إضعاف النظام. وقد اتضح فشل هذه السياسة تماماً في مطلع الخريف، عندما استقطب صدام هؤلاء الأكراد المتحالفين معنا إلى صفوفه. وكان الأمل الثاني لصانعي السياسة الأمريكية، هو أن العقوبات الاقتصادية الصارمة ستضعف العراق، حتى يهب شعبه ويمسك بمقاليد الأمور بيده. وهكذا بُذلت كل الجهود للإطاحة بصدام حسين، الذي يُعد - هو وإيران - ألد أعداء السياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي. لكن لا تعوِّلوا كثيراً على الإطاحة بنظام صدام حسين من الداخل.

● العودة إلى بغداد

إنني واحد من الصحفيين الغربيين القلائل الذي يحصلون على تأشيرات دخول بشكل منتظم لزيارة العراق، وهو أمر يثير الشكوك والريب. وقد زرت العراق في خريف هذا العام، عندما أطلقت حكومة

كلنتون صواريخ كروز على منشآت عسكرية عراقية، بسبب الهجوم العراقي على الأكراد. وقد أثبت هذا الأمر أن القدرات العسكرية التقليدية للعراق قد تدهورت. إذ أوقف العراقيون هجماتهم عندما هدد الرئيس الأمريكي بمعاودة ضرب بغداد. لكن المحاولات الأمريكية للإبقاء على العقوبات ضد صدام لم يحالفها النجاح التام.

● **رفع الحصار**

أصر المجتمع الدولي في النهاية على السماح للعراق ببيع النفط للحصول على الغذاء، في إطار صفقة عقدتها معه الأمم المتحدة، يمر بمتقضاها النفط عبر خطوط الأنابيب إلى تركيا. وقريباً سيصل الطعام والدواء بكميات كبيرة إلى شعب العراق. وقد ظهر صدام حسين نفسه أمام الصحفيين الأجانب - لأول مرة منذ الحرب - ليفتح صنبور النفط في كركوك. لقد شعرت أن المسؤولين العراقيين - الذين التقيت بهم في بغداد - مقتنعون بأن العقوبات الاقتصادية المفروضة عليهم ستُرفع كلها في النهاية. ونفس الشيء يتوقعه رجال الأعمال في الأردن وتركيا وغيرها من الدول المجاورة، إذ بدأوا يعقدون الصفقات في بغداد. فهل يعني ذلك أن الوقت قد حان لإعادة دراسة السياسة الأمريكية حيال العراق؟ ليس بعد. لكنني أرى أنه سيكون علينا - آجلاً أم عاجلاً - أن نحول الحرب بيننا وبين العراق إلى الميدان الدبلوماسي.

الإعلام وحرب الخليج:
رواية شاهد عيان

● عالمية شبكة CNN

لقد ألقيت عليكم شهادة شاهد عيان على حرب الخليج كما وعدتكم، وأحب أن أتعرض لموضوعين آخرين، الأول هو القلق من إمكانية تأثير شبكة CNN تأثيراً سلبياً على السياسة الدولية، وتعليقي على ذلك هو أن CNN تراقب أزمات العالم، لكن من الذي يراقب CNN ؟ إنه أنتم أيها المشاهدون، فأنتم الذين تراقبون CNN، وكلكم تستخدمون أطباق الاستقبال، أو تشتركون في قنوات الكابل المشفرة التي تنقل أخبارنا. وليس مفروضاً عليكم أن تشاهدوا قناتنا، لأن أخبار CNN هي عبارة عن منتج للبيع مثل أي منتج آخر، ومبيعاتنا تعتمد على إرضاء زبائننا، وإرضاء زبائننا يتوقف أساساً على مصداقيتنا.

لن تشاهد وزارات الخارجية في العالم قناة CNN، لولم تثق في أننا نقدم الأخبار بطريقة عادلة وعملية قدر الإمكان. إننا نصل إلى جميع دول العالم تقريباً، بما في ذلك كوريا الشمالية. بل إن صدام حسين نفسه يدعونا إلى بغداد بين الحين والحين، كلما أراد أن يعرض وجهة نظر العراق في الإطار الجغرافي السياسي.

كتب البروفيسور المرموق حامد مولانا، أنه فيما يتعلق بالأمور الداخلية، يكون ولاء الصحافة الأكبر للوطن ونظام الأمة والدولة والمصلحة الوطنية. ويضيف أنه رغم اتساع مجال عمل وسائل الإعلام

ليشمل العالم بأسره، نجد أن وجهات نظرهم الإعلاميين ما زالت ضيقة إلى حد كبير. أما من ناحيتي فإنني أرى أن CNN، أصبحت تتخطى حدود ذلك التشخيص، لتصبح نموذجاً يحتذى للمؤسسات الإخبارية الدولية الناشئة والمنافسة لها. ويُعزى جزء من تفوقنا ـ بالتأكيد ـ إلى استخدام تقنية نقل الأخبار ساعة وقوعها، وعرضنا المتميز لعمليات حرب الخليج. بينما يُعزى الجزء الآخر إلى فلسفة CNN التي تختلف كثيراً عن المؤسسات الإخبارية الأمريكية الأخرى. بما يمكن أن نسميه صحافة الارتباط، أو صحافة الاهتمام.

● الخصوصية الأمريكية لشبكة CNN

تقوم فلسفة شبكة CNN على الأهداف التي وضعها مؤسسها تد تيرنر، انطلاقاً من المبادئ التي نادى بها ابن ولايته «أطلنطا» وصديقه الرئيس الأسبق جيمي كارتر. وقد أعلن تد تيرنر ـ عندما أسس شبكة CNN عام 1980 ـ أنه يريد أن يتعرض للموضوعات المزعجة، مثل الجوع والتلوث وانتشار الأسلحة، وأن يسعى لحسم الصراعات العرقية والحروب المدمرة.

صحيح أن CNN تعكس سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بالضرورة، لأنها تغطي أخبار الرئيس كلنتون تغطية حية في أغلب الأحيان، وتتتبع خطى وزراء خارجية أمريكا حول العالم. فنحن ـ أولاً

وقبل كل شيء - مؤسسة إخبارية أمريكية. لكننا نعتقد كذلك أن أغلب الناس في شتى أنحاء العالم، يرغبون في تعرف اتجاهات السياسة الأمريكية عند الأزمات، بسبب الدور الرئيسي الذي تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية في الشؤون الدولية. ونحن نقوم بمحاولات دؤوبة لتوضيح الجانب الآخر من الصورة، لقد حصلت CNN على تصريح من الرئيس الكوبي فيدل كاسترو لفتح مكتب لها في هافانا، ومازلنا نحاول إقناع البيت الأبيض بالسماح لنا بذلك.

يشكو النقاد الأمريكيون اليمينيون من أن شبكة CNN تهتم كثيراً بأناس يسمونهم «الطغاة القساة»، ونحن لا نرى هؤلاء الأشخاص «طغاة قساة»، بل هم لاعبون مهمون على الساحة السياسية الدولية، ويجب أن نسمع ما يقولون. إن بعض ما نفعله يغضب صانعي السياسة الأمريكيين، والبعض الآخر لا يغضبهم. لقد قضيت بضع ساعات خلال عطلة نهاية الأسبوع الماضي مع الرئيس بيل كلنتون، وتحدثت معه عن تغطيتي الأخيرة لـ «التظاهرات من أجل الديمقراطية»، المناوئة للحكومة في بلجراد. ومن المعروف أن السياسة الأمريكية تزداد تشدداً ضد الحكومة الشمولية لسلوبودان ميلوسيفتش.

وفي النهاية أقول إن شبكة CNN الإخبارية - التي تألقت في حرب الخليج الثانية - تحاول أن تصبح شبكة إخبارية عالمية، يشاهدها كل الناس بثقة واطمئنان.

نبذة عن المحاضر

بيتر آرنيت

* هو أحد أشهر المراسلين الدوليين لشبكة CNN الأمريكية الإخبارية.

* حصل على جائزة بولتزر، وجائزة جورج بولك التذكارية، وجائزة إيمي من الأكاديمية الوطنية الأمريكية لفنون التلفزيون والعلوم، وثلاث جوائز من الهيئة الوطنية الأمريكية لتلفزيون الكابل، وكثير من الجوائز الأخرى.

* السيد آرنيت معروف بتغطية أصعب وأخطر الأحداث والأخبار، بدءاً من حرب فيتنام. وقد قام آرنيت بتغطية حرب الخليج الثانية من بغداد، واتسمت تغطيته لها بالفورية والتشويق اللذين لم يعهدهما الناس من قبل، حتى أطلق البعض على حرب الخليج «حرب الـ CNN».

صدر عن «سلسلة محاضرات الإمارات»

1 ـ بريطانيا والشرق الأوسط: نحو القرن الحادي والعشرين

مالكولم ريفكند

2 ـ حركات الإسلام السياسي والمستقبل

رضوان السيد

3 ـ اتفاقية الجات وآثارها على دول الخليج العربية

محمد سليم

4 ـ إدارة الأزمات

د. محمد رشاد الحملاوي

5 ـ السياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي

لينكولن بلومفيلد

6 ـ المشكلة السكانية والسلم الدولي

د. عدنان السيد حسين

7 ـ مسيرة السلام وطموحات إسرائيل في الخليج

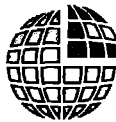
د. محمد مصلح

8 ـ التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية

خليل علي حيدر

9 ـ الإعلام وحرب الخليج: رواية شاهد عيان

بيتر آرنيت



مـركـز الإمـارات للدراسات والبـحـوث الاسـتـراتـيـجـيـة
The Emirates Center for Strategic Studies and Research

ص.ب: ٤٥٦٧، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة
تلفون: ٧٦٤٦٦٦ ـ ٢ ٩٧١، فاكس: ٧٧٣٥٣٣ ـ ٢ ٩٧١ E-mail: root@ecssr.edu